طرائق كشف المعنى البلاغي شراح البخاري أنموذجاً

د. عبدالوهاب حسين خلف الجبوري أ. م . د محمد ياس خضر الدوري
جامعة تكريت /كلية التربية

الملخص

يهدف البحث إلى كشف وجوه المعنى البلاغي عند شراح الحديث النبوي ولاسيما شراح صحيح البخاري ، فجاء البحث في أربعة مباحث يسبقها مقدمة ويقفوه بخاتمة فيها أبرز النتائج التي توصل إليه البحث مع قائمة بالمصادر والمراجع كشف البحث عن جوانب مشرقة من الحديث الشريف وعن طائفة كبيرة من جوامع الكلم من خلال شرحهم لأعظم كتاب بعد كتابه سبحانه وتعالى وبين المزايا الأسلوبية في الحديث الشريف من حذف وذكر وتقديم وتأخير وفصل ووصل وتعريف وتنكير وخبر وإنشاء وإيجاز وإطناب .

بين البحث ما للسياق والمقام والاقتران اللفظي والمناسبة من عظيم أثر وكبير نفع في كشف المعنى ومزاياه وكيف أجاد الشراح في إبراز هذه الطرائق في شروحهم التي بثوا من خلالها وما تلمسوه من معانٍ كبيرة أثرت شروح الحديث الشريف

أما مصادر الدراسة فكانت متنوعة بين كتب الحديث والتفسير وكتب اللغة وكتب أهل البلاغة وختاما إن أصبت فذلك بفضل الله وتوفيقه ،وإن أخطأت فحسبي أجر المجتهد ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربُّ العالمين وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المقدمة

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على خير الأنام وأعرب من نطق بالبيان نبينا محمدٍ ﷺ ، وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى وأولي النهى و الإفهام ومن تبعهم وسار على هديهم بإحسان

أما بعد :

فإن للحديث النبوي عطاءً جديداً في كل عصر ومعنىً متجدداً يتجلى لكل جيل ، يختلف باختلاف العقول ، ويتضح بتقدم العلوم ، وعلى هذا فقد بقيت الدراسات متواصلة على مر الزمان واختلاف المكان ، ودراسة المعاني اللغوية ودلالتها أمر مطلوب لأغراض دينية وحضارية وذلك لارتباطها بالقرآن الكريم أولاً ، وبالحديث النبوي ثانياً ، والتراث الأدبي للأمة ثالثاً ،ومن خلال ذلك كان لجهود سلف الأمة اليد الطولى في الكشف عن بلاغة القرآن والحديث النبوي الشريف فأعملوا الفكر وواصلوا العمل وبذلوا الجهد في الكشف عن كل لمسة انماز بها الكتاب العزيز والسنة الشريفة ،فما كان منا الخلف إلا الاتكاء على جهد أولئك الرجال الأعلام في تبيانهم والكشف عن متن الحديث الشريف في جوانبه البلاغية ومن خلال النظر في بحر علوم الأولين والغوص في لجة بحرهم الذي لاتدرك شطآنه، ومما ساعدني في الغوص على تبيان هذه الدراسة أني رأيت الكثير قد غفل علوم الأولين ولم يلق بالاً لجهود علماء الحديث البلاغية والنقدية فارتأيت من خلال قراءتي لمصنفاتهم الحديثية الكشف عن جهودهم في هذا العلم الشريف وبيان توظيف هذه الطرائق وتاصيلاتها في بيان المعنى النبوي الشريف في وقت كان الارتباط وثيقًا فيهً بين علوم اللغة والدين بل من

شروط العالم امتلاك علوم الآلة كعامل أساسي في فهم الأمور الشرعية ، فحصل للبلاغة أن كتب لها قصب السبق وعلو الكعب في ميدان الحديث الشريف

خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة مذيلة بقائمة المصادر والمراجع

تناولت في هذه المباحث طرائق كشف المعنى عند شراح البخاري وكيف وظفوا هذه الطرق في تبيان المعنى البلاغي فكان المبحث الأول للسياق وأثره في كشف المعنى أما المبحث الثاني فكان من نصيب المقام وأثره في كشف المعنى وتناول المبحث الثالث الاقتران اللفظي وأثره في كشف المعنى وأخيرا جاء المبحث الرابع والذي تناول علم المناسبة بين المفردات والجمل وما هو فهم الشراح لهذا المصطلح البلاغي وما هو أثره في كشف المعنى .

الشراح على هذا التوجيه جل عنايتهم فكان منهجاً متبعاً في الكثير من توجيهاتهم للسياق والمقام؛ لما بينهما من التناسب والتلازم وأنهما من مكملات بعضهما الآخر لأن العلاقة بينهما قوية ومتشابكة فلا وجود لأحدهما دون الآخر فهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً ولقد اختلف الباحثون في تعريفهم للسياق والسبب في ذلك أن المتقدمين لم ينصوا على تعريفه اصطلاحاً وإنما نصوا على أهميته في فهم المعاني ومجمل القول: ((إن السياق في البلاغة : هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، أي إن التعبير لابد أن يحوي على معنى يناسب السامع وهذا المعنى يتطلب شكلاً فصيحاً ، ولن يكون المعنى مناسباً لمقتضى الحال الا إذا جاء التعبير مصوراً لأبعاد هذا المعنى، تلك الأبعاد التي تتولد في أثناء السياق تبعاً لدرجات الانفعال))(١) ، والعناية بالسياق وسيلة للوصول إلى المعنى وتحديده فهو يكشف ما تضمنه المعنى من جراء النظر في الكلام حتى يدرك المقصود من الكلام ، والسياق في بلاغة الكلام قد يأتي يستدعي تعبيراً على مقتضى الظاهر ، وقد يتطلب تعبيراً على خلاف مقتضى الظاهر ، ويقصد به التنوع في التعبير فهو ليس زخرفاً لفظياً وإنما يؤتى به لضرورة اقتضتها طبيعة الكلام ،والسياق في الحديث النبوي هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ النبوية ، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع وانفصال وقد أبرز المفسرون والشراح أهمية السياق في فهم دلالة النص وترجيح التأويلات . قال ابن قيم الجوزية (ت٧٥١) في نونيته (٢) :

إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدي المراد لمن له أذنان

فسياقة الألفاظ مثل شواهد ال أحوال إنهما لنا صنوان

فتأمل الألفاظ وانظر ماالذي سيقت له إن كنت ذا عرفان

وللسياق نوعان رئيسان(٣):الأول :سياق المقال وهو السياق اللغوي الداخلي الذي ينتج عن ترابط جرس الأصوات فيما بينها لتشكيل الجمل ، والجمل فيما بينها لتشكيل النص فالقرائن المعتبرة لمعرفة دلالة سياق المقال راجعة الى النظم ، والتراكيب النحوية ، مع اعتبار قواعد دلالات الألفاظ فالباحث في دلالة سياق المقال يحتاج الى التمكن من تلك الأدوات ومن هنا تفاوت الباحثون في تمكنهم من تطبيق هذه الأدوات في أثناء النظر في النصوص النبوية الثاني: سياق المقام وهو يمثل البيئة التفاعلية بين المتحدث والمخاطب وما بينهما من عرف سائد يحدد مدلولات الكلام فمعرفة قصد الكلام وحال المخاطب من وسائل فهم سياق المقال ، وقد عوّل الشراح على دلالة السياق بجانبيه المقالي والحالي في شرح الأحاديث النبوية وقد جعلت هذا المبحث محصورا للإشارة إلى نماذج من تطبيقات الشراح التي ظهر من جرائها اثر دلالة السياق في فهم النص النبوي وذلك أن غالب الدراسات حول السياق كانت متجهه نحو آيات القران

الكريم، أما الأحاديث النبوية فلم تحظ بدراسات مستقلة للوقوف على اثر السياق في فهم معنى الحديث النبوي وتحليله ومما وقفنا عليه على بعض الأحاديث التي دلت دلالة قاطعة على تنبّهَ الشراح إلى أهمية السياق في توجيه دلالات الألفاظ وكشف المعاني لأجلها ، على معطيات السياق الواضحة التي روعي فيها السياق والمقام في الحديث الشريف فمن ذلك ما جاء في قصة الخضر مع سيدنا موسى –عليه السلام– قوله صلى الله عليه وسلم : ((بَيْنَمَا مُوسَى في ملأ من بَنِي إِسْرَائِيلَ جَاءَهُ رَجُلٌ فقال هل تَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنْكَ قال مُوسَى لَا فَأَوْحَى الله إلى مُوسَى بَلَى عَبْدُنَا خَضِرٌ فَسَأَلَ مُوسَى السَّبِيلَ إليه فَجَعَلَ الله له الْحُوتَ آيَةً وَقِيلَ له إذا فَقَدْتَ الْحُوتَ فَارْجِعْ فَإِنَّكَ سَتَلْقَاهُ وكان يَتَّبِعُ أَثَرَ الْحُوتِ في الْبَحْرِ فقال لِمُوسَى فَتَاهُ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إلى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وما أَنْسَانِيهِ إلا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فَارْتَدَّا على آثَارِهِمَا قَصَصًا فَوَجَدَا خَضِرًا فَكَانَ من شَأْنِهِمَا الذي قَصَّ الله عز وجل في كِتَابِهِ))(٤) ،بين ابن حجر أثر السياق في كشف المعنى بقوله : ((والتقدير فأوحى الله إليه لا تطلق النفي بل قل خضر وإنما قال عبدنا وإن كان السياق يقتضى أن يقول عبد الله لكونه أورده على طريق الحكاية عن الله سبحانه وتعالى والإضافة فيه للتعظيم))(٥) ، فمقام العبودية مقام تشريف وتكريم ووصف بأنه من عباد الله تشريفاً له ولذا وصف الله نبيه بالعبد ثم نسبه إليه وهذا تشريف آخر فقال : قَالَ تَعَالَىٰ:أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ **الإسراء: ١**) فالمقام مقام تشريف لسيدنا الخضر لكونه أورده على طريقة الحكاية عن الله سبحانه وتعالى .ومقام التعظيم لله تعالى من خلال الإضافة ، لذا قال سبحانه في هذه ﴿ فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ **الكهف: ٦٥)** فمن خلال الوقوف على مادل عليه السياق عُرِفتْ هذه اللطيفة البيانية عندما وضع الضمير موضع الظاهر فكشف لنا النقاب هذه اللمسة بالتفنن بالقول فكانت له الميزة في كشف المعنى الذي أداه عن طريق السياق ، فمقام التشريف والتكريم لا يخفى على صاحب البصيرة لأنه سبحانه قال: (عبدنا) عن الخضر فالإضافة إضافة تعظيم لمقام الحق سبحانه وتشريف وتكريم للخضر عليه السلام فهذا الجمع يساق في مضمار الترفيع والتشريف وهو ما علم من السياق (فلكل مقام مقال) ، (ولكل كلمة مع صاحبتها مقام) فالسياق هو الهادي إلى اختيار المعنى المراد من الكلمة بحسب موضعها الملائم للنص ، وللسياق سمة تعبيرية خاصة فتتردد فيه ألفاظ معينة بحسب تلك السمة فمناسبة التعبير للسياق تقتضي طريقة تشكيل معينة، فإذا نزلت اللفظة منزلها في السياق الخاص بها حسنت، وإذا لم تأتلف مع السياق قبحت .وعد عبدالقاهر الجرجاني ظواهر الخروج على التعبير العادي ، الالتفات ، ووضع الخبر موضع الإنشاء ، وعكسه وتبادل دلالات الأفعال باعتبار الأزمنة وغيرها من ظواهر دلالات السياق(٦) ، فالسياق يتطلب تعبيراً يناسبه ، بحيث يحقق هذا التعبير بعدين أساسيين : بعد المعنى الذي يُفهم المتلقي ، وبعد التأثير الذي يتحقق من طريقة التشكيل اللغوي ، والتصوير الفني . ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي

١. تعاور دلالات الأفعال باعتبار الأزمنة :

لاحظ شراح المعاني البلاغية لصيغ الأفعال وأشاروا إلى قدرتها على التصوير وإحضار الحدث وكأنما تراه العين وتسمعه الأذن

فمن هذه المشاهدات التي أرشد لها السياق عن المعنى ماجاءت به الدلالة الزمنية في السياق

في حديث ابن عباس رضي الله عنه قال :((مَرَّ النبي – ﷺ – بِحَائِطٍ من حِيطَانِ الْمَدِينَةِ أو مَكَّةَ فَسَمِعَ صَوْتَ إنْسَانَيْنِ يُعَذَّبَانِ في قُبُورِهِمَا فقال النبي– ﷺ – يُعَذَّبَانِ وما يُعَذَّبَانِ في كَبِيرٍ ثُمَّ قال بَلَى كان أَحَدُهُمَا لَا يَسْتَتِرُ من بَوْلِهِ وكان الْآخَرُ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ثُمَّ دَعَا بِجَرِيدَةٍ فَكَسَرَهَا كِسْرَتَيْنِ فَوَضَعَ على كل قَبْرٍ مِنْهُمَا كِسْرَةً فَقِيلَ له يا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هذا قال لَعَلَّهُ أَنْ يُخَفَّفَ عنهما ما لم تَيْبَسَا أو إلى أَنْ يَيْبَسَا))(٧) قال ابن حجر : ((وقيل ليس بكبير بمجرده وإنما صار كبيرا بالمواظبة عليه. ويرشد إلى ذلك السياق فإنه وصف كلا منهما بما يدل على تجدد ذلك منه واستمراره عليه للإتيان بصيغة المضارعة بعد حرف كان والله أعلم)) (٨) ، فصيغة)المضارعة(لَا يَسْتَتِرُ، ويمشي) في الحديث دلت على الاستمرار والمواظبة على الفعل مما أعطى دقة في الوصف من خلال السياق النبوي في إرشاده إلى أن الفعل هذا هو كبيرة من الكبائر، فقرينة السياق دلت على الاستمرارية لأنه عبر بالمضارع وأراد استمرار الحال لاقتضاء المقام له فناسب ذلك التكرار التعبير بالمضارع الدال على التجدد والاستمرار فترتبت المناسبة على الفارق بين الصيغتين، أعني كان بالصيغة الماضية لأنها تدل على وقوع الفعل مرة واحدة فلما كان السياق للعذاب اقتضت المناسبة العدول إلى التعبير بصيغة المضارعة فقيل (لَا يَسْتَتِرُ ويمشي) أي الذين يستمرون على تجديد عدم الاستتار والمشي بالنميمة من غير توبة هم المستحقون للعذاب .

٢. دلالة مراعاة سياق الزمان :

تجيء جملة الماضي كثيراً في النص النبوي غير مقيدة الزمن لذا انصرفت دلالتها على الحال والقرب منه والمستقبل قريبه وبعيده ... مع مراعاة دلالة المضي المعنوية – فالماضي يدل على التحقق والحصول(٩) لذا كثر مجيؤه إذا ما تحدث عن المستقبل واستعمال الماضي بدلاً من المضارع إنما يكون لنكتة بلاغية هي تنزيل حوادث المستقبل منزلة حوادث الماضي للإشارة إلى أن حدوثها واقع لا محالة . ومما جاء من ذلك في شروح البخاري قوله– ﷺ –: ((إذا أَسْلَمَ العَبْدُ فَحَسُنَ إسْلاَمُهُ يُكَفِّرُ اللَّهُ عنهُ كلَّ سَيِّئَةٍ كان زَلَفها وكان بعْدَ ذلكَ القِصاصُ الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثالِها إلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ والسَّيِّئَةُ بِمثْلِها إلاَّ أن يَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهَا))(١٠) ، قال العيني: ((قوله كل سيئة كلام إضافي منصوب لأنه مفعول يكفر الله قوله: كان زلفها جمله فعلية في محل الجر لأنها صفة (سيئة) قوله: (وكان بعد ذلك) أي بعد حسن الإسلام القصاص وهو مرفوع لأنه اسم كان، وهو يحتمل أن تكون ناقصة وأن تكون تامة، وإنما ذكره بلفظ الماضي وإن كان السياق يقتضي لفظ المضارع لتحقق وقوعه كأنه واقع وذلك كما في قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (الأعراف ٤٤) (١١) ففي هذا الحديث عبر بالماضي عن الأحداث التي جعلت المتوقع الذي لابد من وقوعه في المستقبل بمنزلة الواقع المحقق وصيغة الماضي لتحقق الوقوع ، ففي هذا الحديث وقعت صيغتان الأولى المضارعة وهي(يُكَفِّرُ) والثانية صيغة الماضي (كان زَلَفها) فناسب بين (كان) و(يُكفِّرُ) بين (استمرار المغفرة) و(مقام استغفار العبد) وهو مقام تكريم للعبد التائب ، وكونهم مخاطبين بهذا الوعد يوجب مزيد التشريف . ومزيد التشريف لائق بحال المؤمنين، فالدلالة هنا جاءت لمراعاة مقام الزمان وفيها من التدريج العجيب والموعظة العظيمة البليغة يعني إن عاد العبد إلى الطاعة عاد الله إلى المغفرة ،فأفادت دلالة الزمن السياقية هذا المقام .وإخراج الكلام في صيغة الماضي على خلاف مقتضى الظاهر من زمن الحال لإفادة تحقق الفعل حتى كأنه مضى ووقع .

٣. ومن الأساليب التي وضحها السياق هو أسلوب الالتفات وهو العدول أوهو خروج عن أصل ، أو مخالفة القاعدة ، ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدراً من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها ، وكما يكون فهم الترخص من خلال الاعتداد بالقرائن يكون فهم الأسلوب العدولي ومنه ما جاء في الحديث ((عن شَقِيقِ بن سَلَمَةَ قال قال عبد اللَّهِ كنا إذا صَلَّيْنَا خَلْفَ النبي – ﷺ – قُلْنَا السَّلَامُ على جِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ السَّلَامُ على فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَالْتَفَتَ إلَيْنَا رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فقال إنَّ اللَّهَ هو السَّلَامُ فإذا صلى أحدكم فَلْيَقُلْ التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النبي وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّكُمْ إذا قُلْتُمُوهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ في السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ))(١٢) ، قال العيني : (((فإن قلت) ما الحكمة في العدول عن الغيبة إلى الخطاب في قوله: عليك أيها النبي مع أن لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كأن يقول السلام على النبي فينتقل من تحية الله إلى تحية النبي ثم إلى تحية النفس ثم إلى تحية الصالحين (قلت) أجاب الطيبي بما محصله نحن نتبع لفظ الرسول بعينه الذي علمه للصحابة ويحتمل أن يقال على طريقة أهل العرفان أن المصلين لما استفتحوا باب الملكوت بالتحيات أذن لهم بالدخول في حريم الحي الذي لا يموت فقرت أعينهم بالمناجاة فنبهوا على أن ذلك بواسطة نبي الرحمة وبركة متابعته فإذا التفتوا فإذا الحبيب في حرم الحبيب حاضر فأقبلوا عليه قائلين السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته))(١٣) ، فقد التفت من الغيبة إلى الخطاب في قوله: (السلام عليك أيها النبي) مع أن لفظ الغيبة هو الذي يقتضيه السياق كأن يقول: (السلام على النبي) وترجع بلاغة هذا الالتفات إلى ما تحدثه في النفس من أن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن وأبلغ في تجديد نشاط السامع ، وأكثر إيقاظاً لمشاعره وتنبيهاً لأحاسيسه ، فيقبل إلى الكلام ويصغي إليه ، وعندئذٍ يقع في نفسه موقعاً حسنا وهذا العدول الذي اقتضاه السياق هو عدول ترقي ورتبة من الغيبة إلى الخطاب فكان العدول إلى الأنسب لما فيه من مقام التفخيم والتعظيم والترقي لأنه سلام الحاضر ، كأنك تلقي السلام بين يدي النبي وفيه يبقى المسلمون متصلين بنبيهم عبر الأجيال.

٤. كشف المحذوف بطريق السياق: وقد يكشف المحذوف بطريق السياق فتقتضي قوانين البلاغة أن يكون الذكر (ذكر اللفظ في التركيب ، أو حذفه منه) أَن يكون لغاية هي التخفيف على المتكلم والمخاطب بحذف مالا يخل بالمعنى ؛ لوجود ما يدل عليه في التركيب ، فإذا جاء هذا التركيب موافقاً لمقتضيات البلاغة حصل المطلوب وسمي التركيب حينئذٍ بليغاً ومن الملاحظات المهمة التي كشفها السياق هي كشف المحذوف بطريق السياق فمن أمثلة هذا الكشف حذف همزة الاستفهام لغرض بلاغي يقتضيه السياق وهو ما جاء في قوله– ﷺ – : ((عن أُمِّ سَلَمَةَ قالت جَاءَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ إلى رسول اللَّهِ – ﷺ – فقالت يا رَسُولَ اللَّهِ إنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي من الْحَقِّ فَهَلْ على الْمَرْأَةِ من غُسْلٍ إذا احْتَلَمَتْ قال النبي – ﷺ – : إذا رَأَتْ الْمَاءَ فَغَطَّتْ أُمُّ سَلَمَةَ تَعْنِي وَجْهَهَا وَقَالَتْ: يا رَسُولَ اللَّهِ وتحتلم الْمَرْأَةُ قال: نعم تَرِبَتْ يَمِينُكِ فَبِمَ يُشْبِهُهَا وَلَدُهَا))(١٤) ، فقوله: (وتحتلم المرأة)عطف على مقدر يقتضيه السياق تقديره أو تقول ذلك أو تحتلم المرأة بهمزة الاستفهام المحذوفة ،قال ابن عثيمين في قوله: ((وتحتلم الْمَرْأَةُ) جملة خبرية يراد بها الاستفهام والتقدير أو تحتلم المرأة))(١٥) ، فقد ورد هنا حذف الهمزة الاستفهامية من قول ام سُليم فهي من حيائها كما دل عليه السياق قالت ذلك على أسلوب التنغيم فحتماً كان في نغمتها الاستفهام المشوب بالتعجب ودليل الاستفهام جواب النبي صلى الله

عليه وسلم عن سؤالها فالعجلة والحياء كان هو المانع من هذا الحذف فقالت (وتحتلم المرأة) ، فالمقام مقام إيجاز فحذفت الهمزة لمناسبة السياق للحذف فرصد لكل سياق ما يناسبه من الألفاظ الدالة على الحذف

وقد يدل السياق اللفظي على أن المحذوف فعل ومنه حديث الصديقة أم المؤمنين رضي الله عنها

((عَنْ عائِشَةَ أن النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم . دَخَلَ عَلَيْهَا وعندْهَا امرأَةٌ قالَ مَنْ هَذِهِ قالَتْ فُلاَنَةُ تذْكرُ مِنْ صَلاَتِها قالَ مَهْ عَلَيكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ فَواللَّهِ لاَ يَمِلُّ اللَّهُ حَتَّى تَملُّوا وكانَ أَحَبَّ الدِّينِ إلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ))(١٦) ، قال العيني : ((ومعناه ما تطيقون الدوام عليه وإنما قدرنا دوام الفعل لا أصل الفعل لدلالة السياق عليه ... والتقدير مدة دوام صاحبه عليه))(١٧) فقد أشار العيني إلى دلالة السياق في قوله: (مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ)، بدلالة ما بعده عليه (وكانَ أَحَبَّ الدِّينِ إلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ) هو الذي أوجب التقدير وهو ما فهم من السياق فكان التقدير (الدوام عليه) كما ذهب العيني في ذلك.

و مما دل عليه السياق في مسألة الحذف هو حذف فعل المتعلق كما جاء في قوله ﷺ :

((أَنَّ عائِشَةَ –رضي الله تعالى عنهَا –قالَتْ: شَخَصَ بَصَرُ النَّبِيِّ ثُمَّ قال: في الرَّفِيقِ الأَعْلَى ثَلاثاً))(١٨) قال العيني مبيناً مسألة الحذف الواردة في هذا الحديث الشريف بقوله : ((قلت الرفيق جماعة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين يسكنون أعلى عليين وهو اسم جاء على فعيل وهو الجماعة كالصديق والخليط يقع على الواحد والجمع ومنه قوله تعالى: چ ڈ ڈ ژ ژ ڑ چ النساء: ٦٩) فإن قلت ما متعلق في الرفيق الأعلى قلت محذوف يدل عليه السياق نحو أدخلوني فيهم وذلك قاله حين خير بين الموت والحياة فاختار الموت))(١٩) ، فحذف فعل المتعلق وهو أدخلوني ودلالة السياق عليه ورود حرف الجر (في)

ومن الطرق الأخرى التي بينها السياق هو أن الشراح كانوا يكشفون المعنى بطريق

٥. كشف المعنى بطريق ما يقتضيه الحال ومنه ما جاء في قوله – ﷺ – :((لَا يَقُلْ أحدكم أَطْعِمْ رَبَّكَ ،وَضِّئْ رَبَّكَ اسْقِ رَبَّكَ وَلْيَقُلْ سَيِّدِي مَوْلَايَ ولا يَقُلْ أحدكم عَبْدِي أَمَتِي وَلْيَقُلْ فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي))(٢٠) ،قال الكرماني :((السياق يقتضي أن يقال سيدك ومولاك لتناسب ربك ،قلت: الأول خطاب للسادات والثاني للمماليك أي لا يقول السيد المملوك أطعم ربك إذ فيه نوع من التكبر ولا يقول العبد أيضا لفظا يكون فيه نوع تعظيم له بل يقول أطعمت سيدي ومولاي))(٢١) ففي الحديث إلفات نظر المتكلم والمخاطب إلى طريقة الخطاب على وفق ما يقتضيه المقام لئلا يقع في المناهي اللفظية التي تقدح بعقيدة المتكلم والمخاطب وهذا الالتفات ينبىء بعظمة ذي الجلال والإكرام واختصاصه سبحانه بالربوبية ويدفع توهم من قال هذه الألفاظ فكشف من الالتفات غرضاً بيانياً ناسب به المعنى هو أن الخطاب في الأول للسادات والثاني خطاب للمماليك ، فالحديث هنا كان السياق معلوماً في النهي عن هذه الألفاظ وإنما ذكرت دون غيرها لغلبة استعمالها في المخاطبات فأرشد – ﷺ – إلى العلة لأن حقيقة العبودية إنما يستحقها الله عز وجل ولأن فيها تعظيماً لا يليق بالمخلوق استعماله لنفسه فأرشد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ما يؤدي المعنى مع السلامة من التعاظم لأن لفظ الفتى والغلام لا يدل على محض الملك كدلالة العبد فقد كثر استعمال الفتى في الحر وكذلك الغلام والجارية فالمراد بالنهي من استعمله على جهة التعاظم لا من أراد التعريف(٢٢) لأنه ورد في القرآن الكريم بلفظ الرب في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴿٤٢﴾ يوسف: ٤٢))

المبحث الثاني :أثر المقام في كشف بلاغة المعنى

راعى البلاغيون ظاهرة المقام من خلال مقولتهم (لكل مقام مقال) ، (ولكل كلمة مع صاحبتها مقام)(٢٣) فبحثوا من جراء السياق دلالته على المعنى في اختيار الأنسب من الألفاظ لتكون بدورها الظواهر التعبيرية المثلى التي يتطلبها السياق في أداء المعنى المنشود، فقد عنوا بسياق الحال أو المقام ويعنون به ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثرها في فهمه كحال المتكلم ، والمخاطب والغرض الذي سيق له الكلام وتعد صحيفة بشر بن المعتمر ومقولته المشهورة التي حددت مصطلحي الحال والمقام من أقدم ما كتب في هذا الباب: ((ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكل حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات وأقدار المستمعين على اقدار تلك الحالات))(٢٤) وتطرق البلاغيون من بعده في هذا الباب قال القزويني :((وأما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف فإن مقامات الكلام متفاوتة فمقام التنكير يباين مقام التعريف ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ومقام التقديم يباين مقام التأخير ومقام الذكر يباين مقام الحذف ومقام القصر يباين مقام خلافه ومقام الفصل يباين مقام الوصل ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي وكذا لكل كلمة مع صاحبتها مقام إلى غير ذلك كما سيأتي تفصيل الجميع وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب وانحطاطه بعدم مطابقته له فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب وهذا أعني تطبيق الكلام على مقتضى الحال هو الذي يسميه الشيخ عبد القاهر بالنظم إذ يقول النظم تآخي معاني النحو فيما بين الكلام على حسب الأغراض التي يصاغ لها الكلام))(٢٥) ، فهذه قاعدة تأصيلية فيما ذهبنا إليه فالعرب تميز بين مقامات الكلام بل تعدها من أرفع مستويات البلاغة فهي تسير حول مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، فعدّ مقتضى الحال المعيار المهم عند البلاغيين لتحديد فنية بناء الجملة والجمل ، فإذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال. وتطرق الدسوقي (١٢٣٠هـ) في حاشيته على السعد: على مقتضى الحال واختلاف المقامات بقوله ((فإن مقامات الكلام متفاوتة لأن الاعتبار اللائق بهذا المقام يغاير الاعتبار اللائق بذلك ؛ وهذا عين تفاوت مقتضيات الأحوال لأن التغير بين الحال والمقام ،إنما هو بحسب الاعتبار فإن مقامات الكلام هي الأمور المقتضية لاعتبار خصوصية ما في الكلام وإذا اختلفت المقامات لزم اختلاف مقتضيات الأحوال لأن اختلاف الأسباب في الاقتضاء يوجب اختلاف المسببات إذ الاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك واختلافها عين اختلاف مقتضيات الأحوال ومقتضى الحال في التحقيق هو الكلام الكلي المكيف بكيفية مخصوصة))(٢٦) ، وقد أطنب شراح البخاري كثيراً في ذكر المقام وأثره في المعنى فجاءت شروحهم تشير بوضوح إلى المقام وكيف استعملوه في شروحهم ، فكان حاضراً في الكثير من شواهدهم في شرح الحديث الشريف فالقارئ يجد العديد من تصريحاتهم في المقام بقولهم: (والمقام مقام كذا) والشواهد على ذلك كثيرة ، فالبلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال والحال : أمر يقتضي أن يؤتى بالكلام على صفة مخصوصة تناسبه ، كالإنكار مثلاً فمقام الإنكار يقتضي التوكيد لإزالة الشك عن المنكر إذ اقتضى أن يورد الكلام مع صاحب ذلك الإنكار مؤكداً، فالكلام الموصوف بالتأكيد مقتضاه أن يكون مؤكداً ، فمثلاً كون المخاطب

منكراً للحكم يقتضي تأكيد الحكم ،والتأكيد هنا هو مقتضى لحال المخاطب في هذا المقام فمن ذلك ما جاء في الحديث عن ((خَبَّابٌ قال كنت رَجُلًا قَيْنًا فَعَمِلْتُ لِلْعَاصِ بن وَائِلٍ فَاجْتَمَعَ لي عِنْدَهُ فَأَتَيْتُهُ أَتَقَاضَاهُ فقال لَا والله لَا أَقْضِيكَ حتى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ فقلت أَمَا والله حتى تَمُوتَ ثُمَّ تُبْعَثَ فلا قال: وَإِنِّي لَمَيِّتٌ ثُمَّ مَبْعُوثٌ قلت نعم قال فإنه سَيَكُونُ لي ثَمَّ مَالٌ وَوَلَدٌ فَأَقْضِيكَ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾مريم: ٧٧))(٢٧) ، قال الكرماني وتبعه العيني : ((قوله وإني لميت همزة الاستفهام مقدرة فيه فإن قلت: (أكد بأن واللام) مع أن المخاطب هو خباب غير منكر ولا متردد لذلك؟ قلت فهم العاص من خباب التأكيد في مقابلة إنكاره، فكأنه قال أتقول هذا الكلام المؤكد))(٢٨) ،فأشار الشارحان إلى مقام الإنكار المتمثل في كلام العاص يقابله ماورد من مؤكدات في كلام خباب وهنا لابد من من قرينة حالية أو مقالية يلاحظها المتكلم أو يقرؤها حتى يعلم إلى أي من هؤلاء ينتمي مخاطبه ليلقي إليه كلامه موافقاً ومطابقاً لتلك الحال وهذا ما يعرف بخروج الكلام على مقتضى الظاهر . فالقرينة فهم العاص من خباب التأكيد في مقابلة إنكاره فكأنه قال أتقول هذا الكلام المؤكد والذي كان العاص منكراً له وهو ما بينه الشارحان في هذا المقام.ولعل المناسبة من فهم الحديث والمقام هو مابينه القرآن في نص هذا الحديث الشريف فهما متلازمان مقترنان كلاهما يفسر الآخر، ويأتي البحث عن القول وأسباب النزول وجها من أوجه التفات الشراح إلى معرفة المقام ، فمعرفة الأسباب لازمة من لوازم من رام المعرفة بحال المخاطب وهذا هو السبب الأول، أما السبب الأخر في معرفة المقام الموقف الذي قال فيه الرسول– ﷺ – كلامه أو الصحابي وما عناه ، والمناسبة في هذا النص: أن قائل هذا الكلام كان في غرور مثل الغرور الذي كان فيه أصحابه . وهو غرور إحالة البعث فالعاص بن وائل هو المراد بالذي كفر بآياتنا ومقامه مقام المنكر فاقتضى التأكيد والمقام ذلك لإنكاره البعث.

واختلاف السياق ، أو الموقف الذي يتحدث فيه رسول الله – ﷺ – هو الفيصل في ذلك ، فهو – ﷺ – كان يخاطب الناس على قدر عقولهم ، وكل ذلك على حسب ما اقتضاه حال المخاطب والمقام الذي قيل فيه ، ولايمكن قصر المقامات على شواهدها التي وردت فيها ، فأسرار الكلام تتجدد بتجدد العقول والأفهام ، وميزة ذلك ما أوتيه – ﷺ – من إيجاز وبلاغة فاقت بلاغة البشر ولعل المعرفة بالأسباب التي دعت إلى القول هي الرافعة لكل مشكل من هذا النمط، إذ المعرفة بحال المخاطب من جهة نفس الخطاب أو المخاطَب أو المخاطِب، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حالين وبحسب مخاطَبين ، وبحسب غير ذلك كالنداء لفظ واحد ويدخله معانٍ أخر كالتلطف ، والاختصاص ، والاستغاثة والزجر ، والتحسر، وأشباهها ولا دليل على المعنى المراد إلا الأمور الخارجة ، وعمادها مقتضيات الأحوال وتعد القرائن الأمور الأخرى المبينة للمقام وهذا ينطبق على الأغراض الأخرى كالاستفهام ، والأمر ، والتنكير والتعريف ، والتقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن نعزل كلام الراوي (الصحابي) بمعزل عن كلام الرسول – ﷺ – لأن كلامه كثيراً ما يرتبط بالقول أو الموقف الذي قيلت فيه تلك المناسبة ولأنه هو الشاهد على ذلك وهو خير من نقل ذلك الموقف لنا عبر تلك الصور التعبيرية .

كشف الأغراض من خلال المقام :

فمن شواهد النداء في معرفة مناسبة المقام التي كشفت الأغراض بطريقها ما ورد ((عن عبد اللَّهِ بن أبي مُلَيْكَةَ أَنَّ النبي ﷺ أُهْدِيَتْ له أَقْبِيَةٌ من دِيبَاجٍ مُزَرَّرَةٌ بِالذَّهَبِ فَقَسَمَهَا في نَاسٍ من أَصْحَابِهِ وَعَزَلَ منها وَاحِدًا لِمَخْرَمَةَ بن نَوْفَلٍ فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمِسْوَرُ بن مَخْرَمَةَ فَقَامَ على الْبَاب فقال: ادْعُهُ لي فَسَمِعَ النبي –ﷺ – صَوْتَهُ فَأَخَذَ قَبَاءً فَتَلَقَّاهُ بِهِ

وَاسْتَقْبَلَهُ بإزراره فقال يا أَبَا الْمِسْوَرِ خَبَأْتُ هذا لك يا أَبَا الْمِسْوَرِ خَبَأْتُ هذا لك وكان في خُلُقِهِ شِدَّةٌ))(٢٩) ، قال ابن حجر: ((دعاه أبا المسور وكأنه على سبيل التأنيس له بذكر ولده الذي جاء بصحبته ، وإلاّ فكنيته في الأصل أبو صفوان وهو أكبر أولاده))(٣٠)النداء خرج هنا إلى معنى التأنيس والملاطفة لأن المقام مقام ملاطفة وتأنيس لما عرف فيه من شدة في خلقه فناسب المقام الخروج إلى التأنيس والملاطفة قال القسطلاني : ((النداء للملاطفة))(٣١) فمعرفة سبب الحديث هي ركن ركين في معرفة مقامه، أضف إلى ذلك القرينة اللفظية من راوي الحديث وهي(وكان في خُلُقِهِ شِدَّةٌ) فعرف الغرض من جراء المقام أن الغرض منه الملاطفة والتأنيس لأبي المسور لما عرف من حاله.

ومن المقامات التي وجه لها الشراح وبينوا من جراء الحديث المقام الذي استدعى إلى مثل هذا المقام غر ض الأمر فقد جاء :((عن ابن عَبَّاسٍ أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بن قَيْسٍ أَتَتْ النبي –ﷺ – فقالت يا رَسُولَ اللَّهِ ثَابِتُ بن قَيْسٍ ما أَعْتِبُ عليه في خُلُقٍ ولا دِينٍ وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الْكُفْرَ في الْإِسْلَامِ فقال رسول اللَّهِ ﷺ أَتَرُدِّينَ عليه حَدِيقَتَهُ قالت نعم قال رسول اللَّهِ ﷺ اقبل الْحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً))(٣٢) قال الكرماني: ((طلقها أمر إرشاد واستصلاح لأمر إيجاب وإلزام))(٣٣) ،فلما كان المقام مقام توجيه وإرشاد طلب ﷺ من ثابت بن قيس طلاق امرأته لأن امرأته سألت ذلك خشية كفران العشير أو ما يجلب لوازم الكفر من المعاداة والنفاق والخصومة جاء طلبه ﷺ الطلاق من ثابت ليكون المقام هنا هو مقام إرشاد وتوجيه واستصلاح ليكون ذلك أخف الضررين عليهما .

ومن شواهد معرفة الغرض من خلال المقام ما أفاده أسلوب الاستفهام في معرفته:((عن سَهْلِ بن سَعْدٍ قال جاء رسول اللَّهِ–ﷺ – بَيْتَ فَاطِمَةَ فلم يَجِدْ عَلِيًّا في الْبَيْتِ فقال أَيْنَ ابن عَمِّكِ قالت: كان بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ فَغَاضَبَنِي فَخَرَجَ فلم يَقِلْ عِنْدِي فقال: رسول اللَّهِ –ﷺ – لِإِنْسَانٍ انْظُرْ أَيْنَ هو فَجَاءَ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ هو في الْمَسْجِدِ رَاقِدٌ فَجَاءَ رسول اللَّهِ – ﷺ – وهو مُضْطَجِعٌ قد سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن شِقِّهِ وَأَصَابَهُ تُرَابٌ فَجَعَلَ رسول اللَّهِﷺ يَمْسَحُهُ عنه وَيَقُولُ: قُمْ أَبَا تُرَابٍ قُمْ أَبَا تُرَابٍ))(٣٤) بين الشراح العلة البلاغية في خروج الاستفهام هنا إلى مقام الاستعطاف قال الكرماني: ((أين ابن عمك (الاستفهام للاستعطاف))(٣٥) فذكر رسول الله –ﷺ – فاطمة بقوله أين ابن عمك ولم يقل زوجك أو علي لأن المقام مقام استمالة لقلب فاطمة رضي الله عنها وذلك عندما عرف من حالها المغاضبة بينها وبين سيدنا علي رضي الله عنها فراعى حال المخاطب وهذه هي البلاغة بعينها فهي مطابقة الكلام لمقتضى الحال فاقتضى الحال استمالة أبيها– ﷺ – قلبها .

ومن اقتضاءات السياق والمقام هو سياق التقديم والتأخير فالتقديم: ((هو تبادل في المواقع ، تترك الكلمة مكانها لتحل محلها كلمة أخرى، لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي))(٣٦). ومنه ما جاء ((عن أسامة بن زيد) رضي الله تعالى عنهما– قال: أرسلت ابنة النبي إليه إن ابنا لي قبض فأتنا فأرسل يقرىء السلام ويقول: إن لله ما أخذ وله ما أعطى وكل عنده بأجل مسمى فلتصبر ولتحتسب فأرسلت إليه تقسم عليه ليأتينها فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ ابن جبل وابي بن كعب وزيد بن ثابت ورجال فرفع إلى رسول الله الصبي ونفسه تتقعقع قال: حسبته أنه قال: كأنها شن ففاضت عيناه فقال: سعد يا رسول الله ما هذا فقال: هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده وإنما

يرحم الله من عباده الرحماء))(٣٧) ، قال العيني: ((قيل قدم ذكر الأخذ على الإعطاء وإن كان متأخرا في الواقع لما يقتضيه المقام والمعنى أن الذي أراد الله أن يأخذه هو الذي كان أعطاه فإن أخذه أخذ ما هو له فلا ينبغي الجزع لأن

مستودع الأمانة لا ينبغي له أن يجزع إذا استعيدت))(٣٨) ، فقدم الأخذ وإن كان مرتبته التأخر عن الإعطاء، إذ إن السياق والمقام اقتضى التقديم والتأخير ، وأثره واضح في كيفية نظم الكلام مراعاة لتلك المعاني ولأن المناسبة والمقام اقتضت التقديم لأن الأخذ قد انقضى وتم فقوله: إن لله ما أخذ وله ما أعطى قدم ذكر الأخذ على الإعطاء وأن كان متأخرا في الواقع لما يقتضيه المقام.

ومن مقام التنكير قوله- ﷺ-: ((قال: يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ثُمَّ يقول الله تَعَالَى: أَخْرِجُوا من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ من خَرْدَلٍ من إيمَانٍ فَيُخْرَجُونَ منها قد اسْوَدُّوا فَيُلْقَوْنَ في نَهَرِ الْحَيَا أو الْحَيَاةِ شَكَّ مَالِكٌ فَيَنْبُتُونَ كما تَنْبُتُ الْحِبَّةُ في جَانِبِ السَّيْلِ أَلَمْ تَرَ أنها تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً))(٣٩) قال الكرماني :((وإنما نكّر الإيمان لأن المقام مقتضٍ للتقليل ولو عرّف لم يفد ذلك))(٤٠) فنكر في قوله: (من إيمَانٍ) ولم يقل: (من الإيمان) لأن المقام مقام رحمة والكريم يكفيه القليل حتى يعطي الكثير ويرحم فاقتضى المقام التنكير هنا ليناسب المقام لأنه مقام رحمة ، ولابد من مراعاة ذلك لأن مقام التنكير يختلف عن مقام التعريف فالأساليب متباينة ولكل أسلوب مقام ومناسبة ، والعدول بهذه الأساليب عن دلالتها التي وضعت لها إلى دلالات أخرى يدلنا عليه سياق الكلام والقرائن ، وحال المخاطب ، وما يقتضيه المقام(٤١)

.ومن مقام الإطناب قوله – ﷺ – عندما يبعث أحد أمرائه : ((يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا))(٤٢) ، فلأن مقتضى الحال والسياق هو سياق وعظ لزم المقام أن يطنب – ﷺ – لأن هذا المحل يقتضي الإطناب وكثرة الألفاظ لا الاختصار لشبهه بالوعظ، والمعنى وبشروا الناس أو المؤمنين بفضل الله تعالى وثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته قال القسطلاني: ((لأنه يلزم من عدم التعسير ثبوت التيسير ولا من عدم التنفير ثبوت التبشير فجمع بين هذه الألفاظ لثبوت هذه المعاني لاسيما والمقام مقام إطناب))(٤٣) ،وهذا ما روعي به حال المخاطبين فجاء الإيجاز والإطناب بقدر ما توقع منهم من النشاط والإقبال فإنما تحسن الإطالة وبسط الكلام في تفسير الجمل وتكرير الوعظ وإفهام العامة وهذا ما يليق بالأئمة والملوك والرؤساء قال أبو هلال العسكري :((واعلم أنّ المعاني التي تنشأ الكتب فيها من الأمر والنّهي سبيلها أن تؤكّد غاية التوكيد بجهة كيفية نظم الكلام، لا بجهة كثرة اللّفظ، لأنّ حكم ما ينفذ عن السلطان في كتبه شبيهٌ بحكم توقيعاته، من اختصار اللفظ وتأكيد المعنى هذا إذا كان الأمر والنهي واقعين في جملة واحدة لا يقع فيها وجوه التمثيل للأعمال. فأمّا إذا وقعا في ذلك الجنس فإنّ الحكم فيهما يخالف ما ذكرناه، وسبيل الكلام فيها أن يحمل على الإطالة والتكرير دون الحذف والإيجاز، وذلك مثل ما يكتب عن السلطان في أمر الأموال وجبايتها واستخراجها، فسبيل الكلام أن يقدّم فيها ذكر ما رآه السلطان في ذلك ودبّره، ثم يعقّب بذكر الأمر بامتثاله، ولا يقتصر على ذلك حتى يؤكد ويكرّر لتأكّد الحجة على المأمور به، ويحذّر مع ذلك من الإخلال والتقصير))(٤٤) فاقتضى المقام الأطناب بتكرير هذا القول للأمراء والرسل وبخاصة أن الحديث موجه إلى الأمة بأسرها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب .

وقد يقتضي المقام تقدير محذوف عن جواب وذلك ما جاء في قوله ﷺ :

فمن شواهد هذا الباب قوله :((يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بها شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ من الْفِتَنِ))(٤٥)، فالشاهد في قوله (يفر بدينه من الفتن) قال الكرماني : جملة استئنافية على تقدير جواب سؤال يقتضيه المقام))(٤٦)، فالخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه فالجملة الأولى يوشك أن يكون خير مال الرجل غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر أثارت سؤالا فحواه : كيف يكون مال الرجل غنماً فقط لا غيرها مع أن

الأموال كثيرة غير الغنم منها الإبل والذهب والورق فجاءت الجملة الثانية جواباً لهذا السؤال المثار يفر بدينه من الفتن ولكون الجملة الثانية جوابا لسؤال يقتضيه المقام وتضمنته الجملة الأولى فهما مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً كما يرتبط الجواب بالسؤال لذا ترك العطف بينهما لأن الجواب لا يعطف على السؤال لما بينهما من صلة وارتباط.ومن خلال ما تقدم يتبين للقارىء أن الشراح قد أدلوا بدلوهم في هذا الموضوع البلاغي وكانت لفتاتهم البلاغية توحي بحجم موضوع المقام في شروحهم .

المبحث الثالث. الاقتران اللفظي وأثره في كشف المعنى :

ظاهرة الاقتران اللفظي من الظواهر التي وقف عندها العرب الأوائل وأشاروا إليها في مصنفاتهم وعرفوا أن هناك ألفاظاً تقترن بألفاظ أخرى يبصرها من كان له نظر في كلام العرب ((فقد خصص العرب ألفاظاً لألفاظ ، وقرنوا كلمات بأخرى ، ولم يقرنوها بغيرها ، ولو كان المعنى واحداً))(٤٧) ، فهذا أبو هلال العسكري يصرح بهذه الظاهرة في كتابه الصناعتين بقوله :((وحسن الرّصف أن توضع الألفاظ في مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولا يستعمل فيها التقديمُ والتأخيرُ، والحذف والزيادةُ إلا حذفاً لا يفسد الكلام، ولا يُعمي المعنى، وتضمّ كل لفظة منها إلى شكلِها، وتضاف إلى لفقِها))(٤٨)

ودراسة الاقتران اللفظي أسهمت في كشف المعنى الدقيق بين الألفاظ المتقاربة ومن يقف عند هذا الموضوع في الحديث الشريف يجد كثيراً من المفردات تميل إلى الاقتران بمفردات أخرى تقع في سياقها ، وتنتظم في تركيبها ومن هذا النوع اقتران الكذب مع الجبان ما ورد عن ((جُبَيْرُ بن مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَمَا يَسِيرُ هو مع رسول اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ الناس مَقْفَلَهُ من حُنَيْنٍ فَعَلِقَهُ الناس يَسْأَلُونَهُ حتى اضْطَرُّوهُ إلى سَمُرَةٍ فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ فَوَقَفَ النبي ﷺ فقال:أَعْطُونِي رِدَائِي لو كان لي عَدَدُ هذه الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا ولا كَذُوبًا ولا جَبَانًا))(٤٩) ، قال العيني : ((ثم اقتران الكذب مع الجبان مع أن مقتضى المقام نفي البخل فقط هو إشارة إلى أنه يقول لا أكذب في نفي البخل عني لأن نفي البخل عني ليس من خوفي منكم. وهذا من جوامع الكلم، إذ أصول الأخلاق الحكمة والكرم والشجاعة وأشار بعدم الكذب إلى كمال القوة العقلية أي الحكمة وبعدم الجبن إلى كمال القوة الغضبية أي الشجاعة وبعدم البخل إلى كمال القوة الشهوية أي الجود وهذه الثلاث هي أمهات فواضل الأخلاق، والأول هو مرتبة الصديقين والثاني هو مرتبة الشهداء والثالث هو مرتبة الصالحين))(٥٠) وزيادة على كلام العيني نقول إن اقتران الكذب والجبن مع البخل لأن من صفات البخيل الكذب والجبن فمثلاً الشجاع يجود بنفسه في المواقف والخطوب فكيف لايجود بماله بل يكون المال أهون عليه من غيره. ومن أمثلة الاقتران الأخرى التي نظر إليها الشراح وبينوها في شروحهم

((عن أبي جُحَيْفَةَ قال قلت لِعَلِيٍّ هل عِنْدَكُمْ كِتَابٌ قال لَا إلا كِتَابُ اللَّهِ أو فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ أو ما في هذه الصَّحِيفَةِ قال قلت فما في هذه الصَّحِيفَةِ قال الْعَقْلُ وَفَكَاكُ الْأَسِيرِ ولا يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ))(٥١) قال الكرماني: ((والظاهر أن سبب اقتران الصحيفة بالسيف الإشعار بأن مصالح الدين ليست بالسيف وحده بل بالقتل تارة وبالدية تارة وبالعفو أخرى))(٥٢) ، فالسبب في اقتران هذه الصحيفة هو أن سيدنا علي أخرج الصحيفة من ذؤابة سيفه فقوله: أو ما في هذه الصحيفة وكانت هذه معلقة بقبضة سيفه إما احتياطا أو استحضارا وإما لكونه منفردا بسماع ذلك ، فأخرج كتابا من قراب سيفه فاقترنت هذه الصحيفة بالسيف اقتراناً لفظياً إشعاراً بأن مصالح الدين تأتي بالسيف أعني بالقتل أو بالدية

في فكاك الأسير أو بالعفو عنه ولايقتل مسلم بكافر وهذا هو ما بينه الشراح في معرض كلامهم عن الاقتران اللفظي الذي ورد في هذا الحديث .

ومن الاقتران ما علق عليه العيني من الآية الكريمة ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ الروم: ٣١) والحديث الشريف إذ بيّن الاقتران بينهما ووجه المناسبة ((عن ابن عَبَّاسٍ قال قَدِمَ وَفْدُ عبد الْقَيْسِ على رسول اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا إِنَّا من هذا الْحَيِّ من رَبِيعَةَ وَلَسْنَا نَصِلُ إِلَيْكَ إلا في الشَّهْرِ الْحَرَامِ فَمُرْنَا بِشَيْءٍ نَأْخُذُهُ عَنْكَ وَنَدْعُو إليه من وَرَاءَنَا فقال آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ وَأَنْهَاكُمْ عن أَرْبَعٍ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ ثُمَّ فَسَّرَهَا لهم شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إلا الله وَأَنِّي رسول اللَّهِ وَإِقَامُ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ وَأَنْ تُؤَدُّوا إلي خُمُسَ ما غَنِمْتُمْ وَأَنْهَى عن الدُّبَّاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالْمُقَيَّرِ وَالنَّقِيرِ))(٥٣) قال العيني : ((من حيث إن في الآية المذكورة اقتران نفي الشرك بإقامة الصلاة وفي الحديث اقتران إثبات التوحيد بإقامتها فإن قلت كيف المناسبة بين النفي والإثبات قلت من جهة التضاد لأن ذكر أحد المتضادين في مقابلة الآخر يعد مناسبة من هذه الجهة))(٥٤) ،فاقتران نفي الشرك مع إقامة الصلاة لأن المراد به هو الشرك الخفي وهو الرياء والصلاة مظنة هذه الآفة بل غالبة عليها قال الرازي : ((أثبت التوحيد الذي هو مخرج عن الإشراك الظاهر وبقوله : {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } أراد إخراج العبد عن الشرك الخفي أي لا تقصدوا بعملكم إلا وجه الله ولا تطلبوا به إلا رضاء الله فإن الدنيا والآخرة تحصيل وإن لم تطلبوها إذا حصل رضا الله))(٥٥)

ومن دلالة الاقتران ما ورد في قوله ﷺ :

((من حَلَفَ على يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بها مَالَ امْرِئٍ هو عليها فَاجِرٌ لَقِيَ اللَّهَ وهو عليه غَضْبَانُ فَأَنْزَلَ الله تَعَالَى إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا سورة آل عمران ٧٧))(٥٦) قال ابن حجر:((وقال بن المنيّر في الحاشية يستفاد منه ان الآية المذكورة في هذا الحديث نزلت في نقض العهد وان اليمين الغموس لا كفارة فيها لان نقض العهد لا كفارة فيه كذا قال وغايته انها دلالة اقتران. وقال النووي يدخل في قوله من اقتطع حق امرئ مسلم من حلف على غير مال كجلد الميتة والسرجين وغيرهما مما ينتفع به وكذا سائر الحقوق كنصيب الزوجة بالقسم وأما التقييد بالمسلم فلا يدل على عدم تحريم حق الذمي بل هو حرام أيضا لكن لا يلزم ان يكون فيه هذه العقوبة العظيمة وهو تأويل حسن لكن ليس في الحديث المذكور دلالة على تحريم حق الذمي بل ثبت بدليل اخر والحاصل ان المسلم والذمي لا يفترق الحكم في الأمر فيهما في اليمين الغموس والوعيد عليها وفي اخذ حقهما باطلا وإنما يفترق قدر العقوبة بالنسبة إليهما))(٥٧) ، فدلالة الحديث مقترنة حكماً بدلالة الآية فعدم كفارة اليمين الغموس قياس على عدم كفارة نقض العهد الواردة في الآية فالاقتران هنا اقتران حكمي بعدم الكفارة .

في الحالين .

المبحث الرابع: أثر المناسبة عند الشراح

علم المناسبة ((هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة ، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال))(٥٨) ،ومصطلح المناسبة عند البلاغيين على نوعين هما المناسبة اللفظية والمعنوية إذ قال الحلبي (٧٢٥هـ) في المناسبة : ((المناسبة على ضربين : مناسبة في المعنى ، ومناسبة في الألفاظ ، فالمعنوية : أن يبتدئ المتكلِّم بمعنى ، ثم يتمم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ ، وهو كثير في الكتاب العزيز ومنه قوله تعالى ﴿

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ السجدة: ٢٦. ٢٧)) فانظر إلى قوله سبحانه وتعالى في صدر الآية التي الموعظة فيها سمعية ((أو لم يهد لهم)) ، وقال بعد الموعظة ((أفلا يسمعون))(٥٩) هذه المناسبة عند المفسرين هي مناسبة مطلع الآية مع آخرها

وأمَّا المناسبة اللفظية فهي : ((توخي الإتيان بكلمات متزنات ، وهي على ضربين : تامَّة وغير تامَّة ،فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفَّاة فمن شواهد التامة قوله تعالى ﴿ نٓ ۚ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ القلم: ١ – ٢)) فالتقفية غير لازمة للمناسبة ، ومن شواهد المناسبة التي ليست بتامة في الكتاب العزيز قوله تعالى : ﴿ قٓ ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ﴾ ق: ١ – ٢ ومن شواهد التامة قوله– ﷺ–: ((أعيذكما بكلمات الله التامة من كلِّ شيطان وهامة ومن كلِّ عين لامة)) ولم يقل : ملمة ، وهي القياس لمكان المناسبة اللفظية التامة ،... ومن أمثلة المناسبة الناقصة فكقوله–ﷺ–: : إنَّ أحبَّكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة : أحاسنكم أخلاقا الموطَّؤون أكنافا)) فناسب عليه السلام بين أخلاق وأكناف مناسبة اتزان لا تقفية))(٦٠) ، ومن المعلوم أن علائق الكلام وأنساب البيان لها من الروابط والمقامات ما للبشر من علائق وروابط وهو في عالم البيان أصدق منه في عالم الإنسان وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني في قوله: ((وهو أن الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها فوائد))(٦١) ،وعلم المناسبة علم نفيس و دقيق لم يحظ بكبير اعتناء من قبل الدارسين والباحثين الا بعض الخطرات التي تحدث عند بعض من سلك هذا العلم لدقته وصعوبته وكونه يتطلب جهداً معرفياً في علوم التفسير واللغة والقراءات ومن ثم توظيفها في استخراج الدقائق البيانية ويكتنف هذا العلم أنماطٌ من المفاهيم الاستكشافية التي تساعد الباحث على إثراء البحث في الدراسة القرآنية والنبوية على حد سواء لأن الغرض منها المناسبة بين الجمل والقرائن مع رعايتها لكل مقام وما يحتمله.ومن شروط هذا العلم أن يراعي المناسبة وما تقتضيه الحال فلا يعطي أحدا فوق حقه ولا يصفه بأكثر مما يراد من مثله ويراعي أيضا مقدار النعمة والرتبة فيكون وصف المنة بها على مقدار ذلك وقد اعتمد شراح البخاري ظاهرة المناسبة التي قد نضجت عندهم في هذا الباب فأخذت بتلابيب القلوب وأعجبت السامعين لها وهم قد عرفوا ما كان لهذا الاختيار من دقة وقد راعى علماء وشراح الحديث مناسبة اختيار المفردات للمقام الذي تأتي فيه وأن المعنى اقتضى هذه اللفظة بعينها لتحسن في هذا المقام ، والموضوع النبوي هو طراز خاص يُعرب عن دقة التعبير وسمة القصد ،فالبيان النبوي معني بكل كلمة وألفاظه مختارة بحس الفطرة ونور الوحي بما يناسب كل مقام ، إذ لاتوجد لفظة توازي لفظة أخرى أو تقوم مقامها في موضع ما ، وكان دأب الشراح التبيان والكشف عن هذه الميزة البلاغية التي كانت هي محط الأنظار في شروحهم ، ومن خلال توظيف مفهوم المناسبة في دراسة البيان النبوي تظهر لنا استنتاجات جديدة في القراءة الكاشفة عن وجوه الإعجاز النبوي مما يؤدي إلى إثراء البحث البلاغي وتعميق النظرة الإعجازية في البيان النبوي ولصعوبة هذا العلم ودقته وقلة الدراسات التي بحثت في هذا الجانب آلينا دراسة علم المناسبة ومراعاة مقتضى الحال والمقام وما ظهرت لدى الشراح من مناسبات أو مراعاة لموضوع المقام ولأني لم أصادف من خلال بحثي من أثرى هذا الموضوع دراسة وبحثاً في الحديث الشريف إذ لم أقف على هذا النوع من دراسة الباحثين فأدليت بدلوي فيه ، فمن

شواهد هذا العلم في الحديث الشريف مابينه العيني في تبيان المقام ومناسبة الكلمات لبعضها في قوله-ﷺ-:((عن عَائِشَةَ أنها قالت خَسَفَتْ الشَّمْسُ في عَهْدِ رسول اللَّهِ -ﷺ- فَصَلَّى رسول اللَّهِ -ﷺ- بِالنَّاسِ فَقَامَ فَأَطَالَ الْقِيَامَ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ ثُمَّ قام فَأَطَالَ الْقِيَامَ وهو دُونَ الْقِيَامِ الْأَوَّلِ ثُمَّ رَكَعَ فَأَطَالَ الرُّكُوعَ وهو دُونَ الرُّكُوعِ الْأَوَّلِ ثُمَّ سَجَدَ فَأَطَالَ السُّجُودَ ثُمَّ فَعَلَ في الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ما فَعَلَ في الْأُولَى ثُمَّ انْصَرَفَ وقد انْجَلَتْ الشَّمْسُ فَخَطَبَ الناس فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عليه ثُمَّ قال إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ من آيَاتِ اللَّهِ لَا ينخسفان لِمَوْتِ أَحَدٍ ولا لِحَيَاتِهِ فإذا رَأَيْتُمْ ذلك فَادْعُوا اللَّهَ وَكَبِّرُوا وَصَلُّوا وَتَصَدَّقُوا ثُمَّ قال يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ والله ما من أَحَدٍ أَغْيَرُ من اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أو تَزْنِيَ أَمَتُهُ يا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ والله لو تَعْلَمُونَ ما أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا))(٦٢) ، فلعل المتسائل يتسائل عن وجه الربط بين قوله: (يا أمة محمد والله ما من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته) وبين ماقبلها من كلام على الخسوف والكسوف للشمس والقمر فهاهو العيني يتحفنا بلفتة بلاغية بيانية لما جاء من مقام وتناسب بين هذه الكلمات النيرات وأهم ما فيها والتنقيب عن العلاقة الوطيدة بين كلمات الحديث والسياق الذي وردت فيه في تبيين تماسك النظم وعجيب الرصف قال : ((فإن قلت ما وجه تخصيص العبد والأمة بالذكر قلت رعاية لحسن الأدب مع الله تعالى لتنزهه عن الزوجة والأهل ممن تعلق بهم الغيرة غالبا فإن قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله من قوله فاذكروا الله إلى آخره قلت قال الطيبي المناسبة من جهة أنهم لما أمروا باستدفاع البلاء بالذكر والصلاة والصدقة ناسب ردعهم عن المعاصي التي هي من أسباب جلب البلاء وخص منها الزنا لأنه أعظمها في ذلك وقيل لما كانت هذه المعصية من أقبح المعاصي وأشدها تأثيرا في إثارة النفوس وغلبة الغضب ناسب ذلك تخويفهم في هذا المقام من مؤاخذة رب الغيرة وخالقها))(٦٣) فبما إن كبيرة الزنا تعلق فيها حقان حق الله وحق العبيد ناسب التخويف بها لاجتنابها وثمة وجهة نظر أخرى أو بعداً آخر هو الانحراف عن السنة والفطرة فكما أن الخسوف والكسوف خروج عمّا هو مألوف ومعتاد كذلك الزنا فهو خروج عن الفطرة وهذا من عجائب الإعجاز العلمي والله اعلم ، فالجمل النبوية تترابط وتتعانق من جراء المناسبة بينهما لتؤدي المعنى بوضوح والذي يدل على هذه المناسبة هو السياق النبوي الذي اتسقت ألفاظه وتناسبت في معانيها .فانظر إلى كثرة المناسبات المقتضية لهذه المقامات فقد عرج العيني هنا إلى العديد من المقامات التي اتسقت مناسبتها في ذكر هذا الحديث وشرحه فوجه المناسبة المقتضية للأحوال التي نظر إليها من خلال شرحه على هذا الحديث فقد اعتمد على خبرته اللغوية وإحاطته بمفردات اللغة ومعانيها وعلى فقه الأساليب والمقامات التي تجري فيها الكلمة وتكون فيها معروفة ومشهورة ثم على ذوقه الذي يقبل ويرفض .

ومن مناسبة اللفظ للمعنى التي كانت محط أنظار واعتناء الشراح هو أنهم اعتنوا أيضاً بسياق الحال أو المقام ويعنون به ما يصاحب النص من أحوال وعوامل خارجية لها أثر في فهمه كحال المتكلم ، والمخاطب ، والغرض الذي سيق له ،ومن هنا يمكن القول أن كل كلمة في الحديث النبوي محكومة ضمن ما يسمى مناسبة المقام فهي لاتخرج عن هذا المقام والحديث النبوي يستعمل اللفظ مناسباً للمعنى المطلوب ، وملائماً للغرض المنشود والمراد منه والشواهد كثيرة في هذا الباب الا أن بعض الأحاديث قد يخفى على غير المتأمل وجه المناسبة بين اللفظ ومعناه وهذه التأملات والمناسبات كانت حاضرة عند الشراح في إبداء المناسبة بين اللفظ ومعناه فمن هذا الضرب قوله ﷺ .:((الْعَيْنُ حَقٌّ وَنَهَى عن الْوَشْمِ))(٦٤) قال ابن حجر: ((وقد ظهرت لي مناسبة بين هاتين الجملتين لم أر من سبق إليها وهي أن من جملة الباعث على عمل الوشم تغير صفة الموشوم لئلا تصيبه العين فنهى عن الوشم مع إثبات العين وأن التحيل بالوشم

وغيره مما لا يستند إلى تعليم الشارع لا يفيد شيئا وأن الذي قدره الله سيقع وأخرج مسلم من حديث بن عباس رفعه العين حق ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا فأما الزيادة الأولى ففيها تأكيد وتنبيه على سرعة نفوذها وتأثيره في الذات))(٦٥)

ومنه أيضاً قوله ﷺ:((الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ من الناس فَمَنْ اتقي الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ وَمَنْ وَقَعَ في الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ ألا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى ألا إِنَّ حِمَى اللَّهِ في أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ ألا وَإِنَّ في الْجَسَدِ مُضْغَةً إذا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وإذا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ ألا وَهِيَ الْقَلْبُ))(٦٦) ، ولهذا الحديث روايتان الأولى بالواو والأخرى بترك الواو فقد بين العيني وجه المناسبة في ترك الواو بقوله :((وأما وجه تركها فبالنظر إلى بعد المناسبة بين حمى الملوك وبين حمى الله الذي هو الملك الحق لا ملك حقيقة إلاّ له تعالى... وأما وجه ذكرها في قوله ألا وإن في الجسد فبالنظر إلى وجود المناسبة بين جملتين نظرا إلى أن الأصل في الاتقاء والوقوع هو ما كان بالقلب لأنه عماد الأمر وملاكه وبه قوامه ونظامه وعليه تبنى فروعه وبه تتم أصوله))(٦٧).

ومن شواهد المناسبات الأخرى التي وردت عند الشراح ((عن أبي هُرَيْرَةَ –رضي الله عنه– قال قال رسول اللَّهِ ﷺ من تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ من كَسْبٍ طَيِّبٍ ولا يَقْبَلُ الله إلا الطَّيِّبَ وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لصاحبها كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوَّهُ حتى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ))(٦٨) قال العيني : ((قال: الخطابي جرى ذكر اليمين ليدل به على حسن القبول لأن في عرف الناس أن أيمانهم مرصدة لما عز من الأمور وقيل المراد سرعة القبول وقال الطيبي ولما قيد الكسب بالطيب أتبعه اليمين لمناسبة بينهما في الشرف ومن ثمة كانت يده اليمنى للطهور))(٦٩) فقد اجتهد العيني في ربط مدلول الكلمة بسياقها حتى تكون ملائمة على أحسن وجه من وجوه الملائمة فبين المناسبة من جراء قوله (وإن الله يتقبلها بيمينه) ولماذا قيدت باليمين والكسب بالطيب فالتناسب هنا جاء بين الطيب واليمين فبما أن الطيب هو لكل خير وشرف فالمراد باليمين البركة(٧٠) والخير والتشريف وهذا ما ورد أيضاً في القرآن الكريم في أكثر من موضع في تشريف اليمين وأن أصحاب اليمين هو مقام التشريف وكذلك ما دلت عليه الأحاديث على بركة اليمين وشرفها لذلك كان صلى الله عليه وسلم يعجبه التيمن في أفعاله التي لها ميزة التشريف فاقتضى تناسب الموافقة لتقييد المعنى في هذا الحديث في التناسب بين الطيب واليمين لأن كلاهما يتميز بالتشريف .

ومن شواهد هذه المناسبات المعنوية الأخرى ماجاء في قوله ﷺ:((عن أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قال لَمَّا غَزَا رسول اللَّهِ ﷺ خَيْبَرَ أو قال لَمَّا تَوَجَّهَ رسول اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ الناس على وَادٍ فَرَفَعُوا أَصْوَاتَهُمْ بِالتَّكْبِيرِ الله أَكْبَرُ الله أَكْبَرُ لَا إِلَهَ إلا الله فقال رسول اللَّهِ ﷺ أربعوا على أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ ولا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وهو مَعَكُمْ))(٧١) قال الكرماني ذاكراً المناسبة : ((فإن قلت المناسب ولا أعمى قلت :الأعمى غائب عن الإحساس بالبصر والغائب كالأعمى في عدم رؤية ذلك المبصر فنفى لازمه ليكون أبلغ وأعم وزاد القريب إذ رب سامع وباصر لا يسمع ولا يبصر لبعده عن المحسوس فأثبت القريب لتبين وجود المقتضى وعدم المانع ولم يرد بالقرب قرب المسافة لأنه تعالى منزه عن الحلول في مكان بل القرب بالعلم أو هو مذكور عل سبيل الاستعارة))(٧٢) ، فالمناسبة هنا قائمة بين الأصم والغائب لأنهما متجانسان لأن الأصمَّ لا يَسْمع الاسْتِغَاثَة فلا يُقْلِع عما يَفْعَله والغائب هو الغائب بالبصر والإحساس فالمناسبة هنا اعتمدت على التعليل والسببية بين الأصم والغائب

المناسبة اللفظية

إن خاصية التناسب في الكلام العربي الفصيح، وفي القرآن الكريم، ينظر إليها من جوانب الذوق وما استحسنه الناس في حياتهم، لكون الشيء المعروف أقرب إلى الطبائع والأمزجة. وكتاب الله نزل بلسان العرب، وجاءت آياته البينات مراعية لأحوالهم وأعرافهم وعاداتهم الاجتماعية والاقتصادية والخلقية والنفسية، وقد أبقت على المستحسن وحاربت القبيح،ولا تختلف دلالة الحديث عن دلالة القرآن لأنهما من مصدر واحد كما قال ﷺ:((الا اني أوتيت القرآن ومثله معه))(٧٣) ولقد حفلت كتب الشراح بالكثير من المناسبات التي بينوها على ضوء معطيات نظرهم أو ما استنبطوه من خلال جمعهم الأدلة حول هذا المعنى ،وبلاغة الكلام تتجلى في وضع كل لفظة موضعها المناسب لها ، حتى تعرف ما فيها من براعة وبلاغة ويبحر البليغ في سبر أغوار البيان ويقف على عضوية الكلمة وأهميتها بين الكلام ومناسبته فمن ذلك ما جاء ((عن عبد اللَّهِ بن عَمْرٍو عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّهُ قال لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ـ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ في صَلَاتِي قال قُلْ اللهم إني ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنت فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً من عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّك أنت الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))(٧٤) فلكل اسم من أسماء الله الحسنى خصوصية معنى يراعيها الحديث النبوي لوضع كل منها موضعه الأنسب له وهذا ما أحسه وتذوقه أهل الفصاحة والبيان فقد ((حكي أن أعرابياً سمع قارئاً يقرأ ((فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله غفور رحيم) ولم يكن يقرأ القرآن ، فقال : إن هذا كلام فلا يقول كذا ؛ الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه))(٧٥) فقد أحس بصفاء ذوقه اللغوي أن القارئ أخطأ لأن الآية فاعلموا أن الله عزيز حكيم والمناسبة اللفظية في الحديث الشريف جاءت لخصوصية يتطلبها المعنى والسياق فبداية الحديث قوله في دعائه فكان التعبير بـ (رب) مناسباً لما في المعنى من طلب الرأفة والمغفرة واللطف به فكمل الكلام باسمين من أسمائه الحسنى وهو الغفور والرحيم زيادة فائدة بالمعنى لأنه يبين أن التفنن هو تفنن حكيم ، وليس من قبيل التنويع المحض فالمناسبة تعلقت بالتبيين بأن المعنى متمم للموضوع الذي قيلت فيه المناسبة لأنه مقام طلب المغفرة فكان الأنسب بالمغفرة الغفور وبالرحمة الرحيم والله أعلم .قال العيني : ((وكمل الكلام وختمه بقوله وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم وفي هاتين الصفتين مقابلة حسنة لأن قوله الغفور مقابل لقوله اغفر لي وقوله الرحيم مقابل لقوله ارحمني ولنا أن نقول فيه لف ونشر مرتب))(٧٦)ومثل هذا النوع ما نجده عند الشراح أيضاً في قوله ﷺ: ((غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله))(٧٧) فناسب بين الاسم ومشتقه وهو من خلقه الكريم ﷺ في تأليف القلوب على الاسلام وبالتحبيب لهم على هذا الأسلوب قال العيني :((وفيه الدعاء بما يشتق من الاسم، كما يقال لأحمد أحمد الله عاقبتك ولعلي أعلاك الله وهو من جناس الاشتقاق وفيه الدعاء على الظالم بالهلاك والدعاء للمؤمنين بالنجاة وقال بعضهم إن كانوا منتهكين لحرمة الدين يدعى عليهم بالهلاك وإلا يدعى لهم بالتوبة))(٨٧) ونجد أيضاً ظاهرة المناسبة في الحديث الشريف تسلك مسلك الإبداع والتعجيب والإحسان عن طريق فنون البلاغة، فترى الكلام النبوي يسمو إلى وجوه من التراكيب والترتيبات والاقترانات البليغة تجعل النسب بين المعاني متآخذة فيما بينها في تناسق حسن، وتفصيل بديع، واستدلال محكم، وتعليل مقنع ومن هذا التناسب مناسبة المقام واللفظة، فمما خلص إليه علماء البلاغة والبيان هو اختيار اللفظ المناسب للمعنى المراد بحيث لايحل غيره في محله ، فلا ترد الكلمة إلا إذا كانت هي التي يقتضيها سياق المقام ، ويطلبها النظم(٧٩) ، لأن اللغة في معظم دلالاتها تعتمد على السياق ولا يحكم على اللفظة بأي حكم قبل

دخولها في سياق معين يحدد المعنى ،فاللفظة هنا محددة بالسياق التي وردت فيه وهي تاتي لمناسبة المقام الذي وردت فيه فيكون بينهما التناسب

ومما جاء في ذلك قوله ﷺ:-((يارُبَّ كَاسِيَةٍ في الدُّنْيَا عَارِيَةٍ في الْآخِرَةِ))(٨٠) فناسبت هنا اللفظة للمقام لأن المقام مقام تخويف لنسائه ولنساء المؤمنين عامة فالمرأة تحصل على التشريف وتكتسي من شرف زوجها في الدنيا لصلاحه أما في الآخرة فكل نفس بما كسبت رهينة فتتعرى عن ذلك الشرف.قال ابن حجر في معنى كاسية في الدنيا ومن هذه المعاني : ((كاسية من خلعة التزوج بالرجل الصالح، عارية في الآخرة من العمل فلا ينفعها صلاح زوجها كما قال تعالى ﴿ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ ﴾ المؤمنون: ١٠١ ذكر هذا الأخير الطيبي ورجحه لمناسبة المقام واللفظة وان وردت في أزواج النبي صلى الله عليه و سلم لكن العبرة بعموم اللفظ فذكر أزواجه لزيادة التخويف كاسية للشرف في الدنيا لكونها أهل التشريف وعارية يوم القيامة فلم ينفعها هذا التشريف كما قال تعالى ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ ﴾ (٨١)فناسبت هنا اللفظة والمقام بين كاسية وعارية .

الخاتمة

١- تمتع شراح البخاري بحسٍّ بياني مرهف فراعوا اختيار المفردة في الكلم الطيب للنبي صلى الله عليه وسلم وباختيارات موفقة ناسبت النص النبوي .

٢- بين البحث علم من العلوم المهمة في الحديث النبوي الشريف الا وهو علم المناسبة إذ انفرد هذا البحث بتبيان هذه المسألة إذ لم أجد من كتب في هذا الباب في الحديث الشريف ممن سبقني من الباحثين فيعد هذا البحث هو الأول في مجال الحديث الشريف أما في القرآن فهناك كتب متناثرة عن علم المناسبة وهناك من ألف فيه كتاباً مستقلاً من المحدثين .

٣- كشف البحث أثر المقام في كشف المعنى وكيف راعى الحديث الشريف مقولة العرب الشهيرة (لكل مقام مقال)

٤- وجه البحث مسألة السياق وافاض في طرائق الشراح في كيفية بيانهم للمعنى من جراء السياق النبوي والذي يدعى لدراسات مستفيضة من قبل الباحثين

قائمة المصادر والمراجع

١- البخاري بشرح الكرماني ، المسمى الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري ، لمحمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني (ت٧٨٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط/٢ ، ١٤٠١هـ – ١٩٨١م

٢- البيان والتبيين - : لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ) تحقيق : المحامي فوزي عطوي الناشر : دار صعب – بيروت ط١ ، .١٩٦٨

٣- الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار النشر: دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت – ١٤٠٧ – ١٩٨٧، الطبعة: الثالثة، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٤- إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ، لأبي العباس شهاب الدين أحمد ابن محمد القسطلاني (ت٩٢٣هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق – مصر ، ط/٧ ، ١٣٢٣هـ

٥- الإيضاح في عُلُوم البلاغة، لجلال الدِّين مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن المَعْرُوف بالخطيب القزويني(ت٧٣٩هـ)، تحقيق: د.مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي، منشورات دار الكتاب اللُبناني، بيروت، ط٤، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٦- بلاغة الكلمة والجملة والجمل ، منير سلطان ، منشأة المعارف ـ الاسكندرية ، .١٩٨٨

٧- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧- ٥٣٨هـ) دار احياء التراث العربي – موسسة التاريخ العربي بيروت لبنان

٧- التفسير الكبير او مفاتيح الغيب للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرا زي٥٤٤- ٦٠٤هـ تحقيق هاني الحاج – عماد زكي البارودي المكتبة التوقيفية القاهرة – مصر .

٨- حسن التوسل إلى صناعة الترسل ، لشهاب الدين محمود الحلبي (ت ٧٢٥هـ) ، تحقيق ودراسة أكرم عثمان يوسف ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والإعلام ، ١٩٨٠م

٩- حاشية الدسوقي على مختصر السعد ، تحقيق الدكتور خليل إبراهيم خليل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م .

١٠- دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت ٤٧١هـ) ، قرأه وعلّق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر ، الناشر مطبعه المدني – القاهر ، دار المدني بجده ، ط/٣ ، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م .

١١- السياق الأدبي دراسة نقدية تطبيقية محمود محمد عيسى ، جامعة المنصورة ، د ت، ٢٠٠٤م.

١٢- السياق وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير ٦٩، عبدالرحمن عبدالله سرور رسالة ماجستير (جامعة أم القرى) بإشراف د خالد بن عبدالله القرشي

١٣- السياق ودلالته في توجيه المعنى : أطروحة دكتوراه فوزي ابراهيم عبدالرزاق ، جامعة بغداد بإشراف الدكتور فائز طه عمر ١٩٩٦

١٤- شرح القصيدة النونية المسماة الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، للإمام ابن قيم الجوزية تأليف فضيلة الشيخ العلامة محمد خليل هراس ، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م دار المنهاج ، جمهورية مصر العربية .

١٥- شرح صحيح البخاري ، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ت١٤٢١هـ) ،المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط / ١ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٨م .

١٦- كتابُ الصِّنَاعَتَينِ(الكتابة والشعر)، لأبي هلال العسكريّ، تَحقِيقُ: علي مُحَمَّد البجاويّ، ومُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العَربي، القَاهِرَة–مِصْر، ط٢، ١٩٧١م.

١٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، تأليف: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت

١٨- فقه اللغة وخصائص العربية ، محمد المبارك ، دار الفكر الحديث – لبنان ط ٢، ١٩٦٤.

١٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري للأمام احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)تحقيق عبدالعزيز بن باز و محمد فؤاد عبدالباقي دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ط١، ١٩٨٩ م – ١٤١٠هـ .

٢١- مسند الإمام أحمد بن حنبل ،أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني الناشر : مؤسسة قرطبة – القاهرة،الأحاديث مذيلة بأحكام شعيب الأرنؤوط عليها

٢٢- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي المالكي(ت٥٤٤هـ)، المكتبة العتيقة – تونس ودار التراث–القاهرة، ١٣٣٣هـ.

٢٣- معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم د حامد عبدالقادر ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج (١٠) مطبعة التحرير سنة ١٩٥٨.

٢٤- نظمُ الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور، لأبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت٨٨٥هـ)، تَحقِيقُ: عبد الرَّزَّاق غالب، دار الكُتُبِ العِلميَّة، بيروت–لُبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

الهوامش

(١)السياق الأدبي دراسة نقدية تطبيقية محمود محمد عيسى : ٧

(٢) نونية ابن القيم : ٧٤. ٧٥.شرح خليل الهراس

(٣) ينظر : السياق وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير ٦٩، عبدالرحمن عبدالله سرور رسالة ماجستير (جامعة أم القرى) بإشراف د خالد بن عبدالله القرشي

(٤) صحيح البخاري : ١/ ٤٠.

(٥)فتح الباري : ١/ ٢٠٣.

(٦) ينظر:دلائل الإعجاز ١٧٩.

(٧)صحيح البخاري :١/ ٨٨.

(٨) فتح الباري : ١/ ٣٦٧.

(٩) ينظر بحث معاني الماضي والمضارع في القرآن الكريم ٧١ د حامد عبدالقادر ، مجلة مجمع اللغة العربية ، ج (١٠) مطبعة التحرير سنة ١٩٥٨.

(١٠)صحيح البخاري : ١/ ٢٤.

(١١)عمدة القاري : ١/ ٢٥٠.

(١٢)صحيح البخاري : ٢٨٦/١.

(١٣) عمدة القاري : ٦/ ١١١.

(١٤) صحيح البخاري : ١/ ٦٠.

(١٥) شرح صحيح البخاري ابن عثيمين : ١/ ٣٤٧

(١٦) صحيح البخاري : ١/ ٢٤.

(١٧)عمدة القارى : ١/ ٢٥٧.

(١٨)صحيح البخاري : ٣/ ١٣٤١.

(١٩) عمدة القاري : ١٦/ ١٨٦.

(٢٠) صحيح البخاري: ٢/ ٩٠١.

(٢١) الكواكب الدراري :١٣/ ٢٠٣.

(٢٢) عمدة القاري :٢٠/ ٣٧.

(٢٣) الإيضاح : ١٣.

(٢٤) البيان والتبيين ١/ ٨٧-٨٨.
(٢٥) الإيضاح : ١٣
(٢٦) ينظر حاشية الدسوقي على مختصر السعد : ١/ ٥٧.
(٢٧) صحيح البخاري : ٢/ ٧٩٥.
(٢٨) الكواكب الدراري : ١٠/ ١٠٨، وعمدة القاري : ١٢/ ٩٤.
(٢٩) صحيح البخاري : ١١٣٧/٣.
(٣٠) فتح الباري : ١٠/ ٣٣٢، وينظر عمدة القاري :١٥/ ٤٥.
(٣١) إرشاد الساري : ٥/ ٢٠٩.
(٣٢) صحيح البخاري : ٢٠٢١/٥
(٣٣) الكواكب الدراري ١٩/ ١٩٨. وينظر فتح الباري :٩/ ٥٠١، وعمدة القاري :٢٠/ ٢٦٣
(٣٤) صحيح البخاري :١/ ١٦٩.
(٣٥) الكواكب الدراري : ٤/ ١٠١، وينظر عمدة القاري : ٤/ ١٩٩، وإرشاد الساري : ١/ ٤٣٧.
(٣٦) بلاغة الكلمة والجملة والجمل : ١٣٨.
(٣٧) صحيح البخاري : ١/ ٤٣١.
(٣٨) عمدة القاري : ٨/ ٧٣، وفتح الباري : ٣/ ١٥٧.
(٣٩) صحيح البخاري :١٦/١.
(٤٠) الكواكب الدراري : ١١٦/١، وينظر عمدة القاري : ١/ ١٦٨..
(٤١) ينظر السياق ودلالته في توجيه المعنى : ١٥٥ أطروحة دكتوراه فوزي ابراهيم عبدالرزاق ، جامعة بغداد بإشراف الدكتور فائز طه عمر ١٩٩٦
(٤٢) صحيح البخاري : ١/ ٣٨.
(٤٣) إرشاد الساري : ١/ ١٦٩.
(٤٤) كتاب الصناعتين : ٤٩.
(٤٥) صحيح البخاري : ١/ ١٥.
(٤٦) الكواكب الدراري:١/ ١١٠.
(٤٧) فقه اللغة وخصائص العربية : ٣١٥. ٣١٦.
(٤٨) كتاب الصناعتين : ١٦٧.
(٤٩) صحيح البخاري : ٣/ ١٠٣٨.
(٥٠) عمدة القاري : ١٤/ ١١٨.
(٥١) صحيح البخاري : ١/ ٥٣.
(٥٢) الكواكب الدراري : ٢/ ١٣٨. ، وعمدة القاري : ٢/ ١٦٠.
(٥٣) صحيح البخاري : ١/ ١٩٥.
(٥٤) عمدة القاري : ٥/ ٧.
(٥٥) التفسير الكبير للرازي : ٢٥/ ١٠٥.
(٥٦) صحيح البخاري : ٢/ ٨٣١.
(٥٧)فتح الباري : ١١/ ٥٦٣.
(٥٨) نظم الدرر البقاعي ١/ ٥
(٥٩) حسن التوسل إلى صناعة الترسل: ٢٨٨. ٢٨٩.

(٦٠) حسن التوسل إلى صناعة الترسل : ٢٨٩.-(٦١) دلائل الإعجاز : ٣٩١.
(٦٢) صحيح البخاري :١/ ٣٥٤.
(٦٣) عمدة القاري ٧/ ٧١.
(٦٤) صحيح البخاري : ٥/ ٢١٦٧.
(٦٥) فتح الباري ١٠/ ٢٠٣
(٦٦) صحيح البخاري : ١/ ٢٨.
(٦٧)عمدة القاري ١/ ٢٩٩، وإرشاد الساري : ٨/ ٩٨.
(٦٨)صحيح البخاري :٢/ ٥١١.
(٦٩)عمدة القاري : ٨/ ٢٧٠.
(٧٠) ينظر مشارق الأنوار ٥٦/١ ،وروي عن ابن عباس أن يمين اسم من أسماء الله تعالى مثل قدير وقال أبو الهيثم فالياء منه من اليمن فيمين ويأمن بمعنى مثل قدير وقادر وأنشد بينك في اليامن بيت الأيمن .
(٧١) صحيح البخاري : ٤/ ١٥٤١.
(٧٢) الكواكب الدراري : ٧٢/٢٥ ، وفتح الباري ١/ ٤٣، وعمدة القاري : ٢٥/ ٩٢.
(٧٣) مسند أحمد بن حنبل : ٤/ ١٣٠.
(٧٤) صحيح البخاري : ١/ ٢٨٦.
(٧٥) ينظر : الكشاف ١/ ٢٨٠، والتفسير الكبير للرازي ١١/ ١٩٧.
(٧٦) عمدة القاري: ٦/ ١١٩.وفتح الباري : ٢/ ٣٢٠
(٧٧) صحيح البخاري : ٣٤١/١.
(٧٨) عمدة القاري : ٧/ ٢٧.
(٧٩) ينظر دقائق الفروق اللغوية في العربية :٣١٨.
(٨٠) صحيح البخاري :٦/ ٢٥٩١.في زيادة يا في رواية ابن المبارك
(٨١) فتح الباري :١٣/ ٢٣.

Methods of Discovering for Shur rah AL-Bukhari: A case study

Dr. Abdul- Wahab Husein Khalaf & Assist. Prof Muhmmad Yas
University of Tikrit - College of Education - Department of Arabic

Abstract

This research aims to discover the aspects of the rheticol meaning at shurrah of prophetic Tradition especially at shurrah AL-Bukhari. The research includes preface four section, prefaced by an introduction and a conclusion that includes the most important conclusions. It also includes a list of sources. The research contains brilliant aspects of the prophetic Tradition. These are made by explaining greatest book after the glorious Qur'an. It shows the stylistic features of the prophetic tradition such as : Al-

wasL waL (syndeton) and AL- fasl (syndeton) at AL – tagdim wat- takhir (Anastrophe), and AL –Qasr (restriction) with AL- Igaz waL Itnab (brevity and verbosity) and AL – khabar (connotative), and AL–insha. The research shows the importance of the context of situation context homony my and occasion. It also shows the way of the shurrah employ to extract various meaning in prophetic Tradition. The study depends on various sources of Hadith inter pretation Language and rhetoric.